المرأة والثورة

بسم الله الرحمن الرحيم

{ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة ٧١

المقدمة

والتهبت أرض الإسلام غضباً وثورة ضد الاستعمار وعملائه المستبدين، وارتفعت صيحات التكبير الثائرة من جديد في كل مكان، لتعلن انتهاء عصر التبعية و التخلف، وبداية عصر الإسلام.. عصر المستضعفين..عصر المجاهدين..عصر الثورة..عصر الاستقلال والحرية...

وفتح الله أبواب النصر على يد الشعب المسلم الثائر في إيران..وانتصرت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني..محطمة أقوى عروش الاستبداد والديكتاتورية والعَمالة..

وشخصت أنظار الشعوب نحو هذه الثورة الإسلامية الظافرة لتأخذ منها دروس النصر والنجاح، وتستفيد من تجربتها الثورية الرائعة في نضالها ضد الطغاة و المستكبرين..وعند أول نظرة واعية لمسيرة جهاد الشعب المسلم في إيران يتراءى للإنسان بروعة وجلاء دور المرأة المؤمنة في أحداث هذه الثورة المباركة منذ البداية وحينما كانت المرأة تقوم بتوزيع المنشورات السرية..و إلى أن بزغت شمس الحرية بانتصار الثورة حيث كانت تشارك في المظاهرات المليونية الصاخبة التي لم يشهد العالم لها مثيلاً..وتقوم بصنع القنابل الشعبية (كوكتيل مولوتوف)..وهى الآن تحمل السلاح إلى جنب الرجل في معسكرات حرس الثورة الإسلامية، لتقاوم أعداء الثورة والمتآمرين عليها.

إزاء هذه الأدوار البطولية العظيمة التي لعبتها المرأة المجاهدة في إيران الثورة..تحيَّر المراقبون واندهش الناس!..فبعض المتدينين البسطاء

رأى في ذلك نوعاً من التطرف والخروج بالمرأة عن الحدود التي رسمها لها الإسلام!..وآخرون فسَّروه على أنه نوع من الانفتاح والتطور الذي اكتسبه المسلمون بتأثير الحضارة المادية الحديثة ، التي ساوت المرأة بالرجل وأعطتها حريتها المطلقة!..

وفي الحقيقة، غاب عن الجميع أن الدور الثوري العظيم الذي مارسته المرأة الواعية في إيران الثورة، ما هو إلا تجسيد لشخصية المرأة المسلمة كما يريدها الله وكما يرسمه الإسلام.

ولإعطاء هذا الدور الثوري للمرأة المسلمة أبعاده الإسلامية الصحيحة، وأصالته التاريخية في نضال جماهير الأمة..ولكي تكون المرأة الإيرانية الثائرة مثالاً وقدوة لجميع نساء المسلمين والمستضعفين في العالم..أقدم هذا الكتيب في حلقات تستعرض مواقف المرأة المؤمنة ودورها الواعي في طليعة ثورات الإسلام والتحرر: ثورة الإمام الحسين عليه السلام..وكان هذا الكتيب قد أُعد قبل أن تتصاعد أحداث الثورة الإسلامية المجيدة في إيران.

أرجو أن أوفق فيما قصدت، والله الموفق والمعين.

حسن موسى الصفار

شبه الجزيرة العربية ـ القطيف

١٢ /٤/١٣٩٩هـ

أبيْنَ إلا أن يشتركنَ في الثورة

ليست الثورة رحلة سياسية، أو عملاً ترفيهياً، أو رياضة ممتعة، حتى يتسابق الناس إليها، ويبادرون إلى الاشتراك فيها.

إن الثورة تضحية وعطاء: تضحية بكل المصالح الشخصية والارتباطات المادية، وعطاء يأتي على كل ما يمتلك الإنسان من مال وجهد وحياة.فلا يلحق بركاب الثورة إلا من وطّن نفسه على التضحية، وربّى ذاته على البذل والعطاء.

قال معلم الثوار وسيد الشهداء أبو عبد الله الحسين عليه السلام:

(ألا ومن كان باذلاً فينا مهجته موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا. ..)[1].من هنا كان الثائرون قلة، وكان كل واحد من الناس يتلمس لنفسه الأعذار، ويختلق الحجج، ويتشبث بالظروف، ليريح نفسه من مصاعب الثورة، وما تتطلبه من تضحية وعطاء.

ويتحدث القرآن الحكيم عن جماعة من هذا النوع لم تتوفر في نفوسهم كفاءة التضحية وجدارة العطاء، فصاروا يفتشون عن عر ملفّق يبررون به تقاعسهم وتخاذلهم عن إحدى معارك الثورة الإسلامية..وكان العذر الذي عثروا عليه وقدموه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو أن بيوتهم ستصبح بعدهم عرضة لهجمات العدو واعتداءاته، فلا بد وأن يتخلفوا عن المعركة لحماية منازلهم وللحفاظ على عائلاتهم!..ويرفض القرآن هذا الاعتذار ويفضح نفسيتهم

---

(١) من خطبته (ع) عند خروجه من مكة.

الانهزامية، بقوله تعالى: { ويستأذن فريق منهم النبي، يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة، إن يريدون إلا فراراً }[٢].

إن هذا هو موقف الجبناء المتخاذلين، الذين لم يتفاعل الإيمان مع نفوسهم حتى يدفعهم إلى التضحية والعطاء.أما المؤمنون المخلصون الذين أعدُّوا أنفسهم ورُّبوها على البذل والتضحية، فإنهم يتمنون أن تُتاح لهم فرصة النضال في سبيل الله، ويتشوقون للقاء الله مضمخين بدماء الشهادة.. ويرفعون أيديهم بالدعاء إلى الله هاتفين:

(وقتلاً في سبيلك فوفِّق لنا، اللهم اجعلني ممن تنتصر به لدينك ولا تستبدل بي غيري أحداً)[٣].

ويرجع القرآن الكريم سبب اختلاف موقفي الثائرين والمتخاذلين إلى مستوى الإيمان عند الفرد، ومدى إعداد النفس للتضحية والعطاء، فالثائر يدفعه إيمان عميق، وتربية نفسية مسبقة، بينما المتخاذل لا يمتلك إيماناً، أو لا يمتلك قوة في الإيمان، ولم يهيئ نفسه أو يدربها على البذل والعطاء والتضحية.يقول تعالى:

{لا يستأذنك (في التخلف عن المعركة) الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم، والله عليم بالمتقين.إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون.ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عدَّة}[٤].

•

وحينما فجر الإمام الحسين عليه السلام ثورته المقدسة، خذله أكثر الناس، لأن نفوسهم كانت تعاني ضعف الإيمان، وينقصها الاستعداد للعطاء والتضحية.وسار في ركاب ثورته مَن عمر الإيمان

---

(٢) سورة الأحزاب : ١٣.

(٣) من دعاء الافتتاح.

(٤) سورة التوبة : ٤٤- ٤٦.

قلبه، وتوفر الاستعداد في نفسه..وكانت النساء يشكلن نسبة كبيرة في قافلة الثورة الحسينية.

وهؤلاء النسوة اللاتي شاركن في ثورة الإمام الحسين عليه السلام لم يكنَّ غافلات ولا جاهلات بنتائج الثورة، وما ستجرّه عليهن من مصائب ومتاعب وعناء..بل كنَّ يعرفنَ كل ذلك، وكان الحسين عليه السلام يذكرهن بما سيصيبهن عدة مرات.وما كنَّ مجبرات ولا كان الخروج مفروض عليهن، بل كان بإمكان أية واحدة منهن أن تعتذر بارتباطها العائلي، وبأعمالها البيتية، ومسئوليتها التربوية..وتبقى في راحة من مصاعب الثورة ومشاكلها.كان ذلك ممكناً وارداً، ولمنهن أبينَ إلا أن يشتركنَ في الثورة!..بدافع من إيمانهن العميق ورؤيتهن الواضحة واستعداد نفوسهن للتضحية والعطاء.

•

فهذه العقيلة البطلة زينب ابنة علي عليه السلام كان زوجها عبد الله بن جعفر الطيار مكفوفاً، وكان بإمكانها أن تجعل ارتباطها بهذا الزوج المكفوف مبرراً لها في التخلف عن الثورة..ولكنها لم تكن تبحث عن مجال للتضحية وفرصة للعطاء في سبيل الله، ومن أجل إنقاذ الأمة المبتلاة بسلطات الجور والانحراف استأذنت زوجها عبد الله بن جعفر لمرافقة أخيها الحسين عليه السلام في سفر الثورة..ولأنه هو الآخر كان واعياً مخلصاً معطاءً، فقد أذن لها وشجعها.

ويحدثنا لتاريخ إن عبد الله بن عباس عندما جاء يودّع الحسين عليه السلام بعد تصميمه على مغادرة مكة إلى العراق لتفجير الثورة، قال له: جعلت فداك يا حسين، إن كان لا بد من المسير إلى الكوفة فلا تسِرْ بأهلك ونسائك!..

فأجابه الحسين عليه السلام وهو يتنبأ بدور هؤلاء النسوة في إكمال ثورته المباركة قائلاً: شاء الله أن يراهن سبايا.وسمع ابن عباس بكاءً من ورائه وقائلة تقول: يا ابن عباس، تشير على سيدنا وشيخنا أن يخلفنا هاهنا ويمضي وحده؟! لا والله بل نحيا معه ونموت معه، وهل أبقى الزمان لنا غيره؟!

والتفت عباس فإذا المتكلمة زينب ابنه علي.

•

إنها نعبر عن رأي النسوة أهل البيت اللاتي أبينَ إلا أن يشتركنَ في الثورة.والثورة تضحية وعطاء يسارع إليها صادق ويتهرب منها سطحي التدين ضعيف الإيمان.

بكلمة وضعت زوجها على طريق الثورة

الكلمة مسؤولية خطيرة وأمانة عظيمة..

فهي بداية كل وجود، وباعث أي تغيير، وسلاح جميع الأنبياء والرسل والأئمة والمصلحين، ووسيلة أي دعوة أو مبدأ، وإطار أية فكرة أو معني..وهي سبب كل حادث خيراً كان أو شراً..

حتى أن القرآن الحكيم يجعل الكلمة رمزاً لتنفيذ مشيئة الله تعالى في إيجاد الكائنات.وكلمة (كن) هي ذلك الرمز الذي تتكون به الموجودات.قال تعالى:

{ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له (كن) فيكون }[٥].

وتوجيه الله تعالى لعباده إنما يتمّ عبر الكلمة التي يوحيها إلى الأنبياء والرسل.والشيطان بدأ مسيرة إضلاله وإغوائه للإنسان بواسطة الكلمة، حينما قال لأبينا آدم عليه السلام وهو في الجنة:

{ فوسوس إليه الشيطان، قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلي؟!}[٦].

ولما وضعت العذراء الطاهرة مريم عليها السلام وليدها الطاهر المسيح عيسي بن مريم، بقدرة الله تعالى دون أن يغشاها بعل..حينذاك أُثيرت حول عنقها ونزاهتها الشكوك والشبهات، فكان الموقف حرجاً للغاية..وكانت كلمة الوليد الطفل عيسي بن مريم كلمة الفصل والحسم التي نسفت كل شكوكهم وألغت كل شبهاتهم، حيث أثبت لهم بتكلمه في المهد أن الأمر معجزة من الله لا تدخل ضمن ما ألفوه من قوانين وعادات.يقول تعالى:

{ فأتت به قومها تحمله، قالوا يا مريم لقد جئتِ شيئاً فرّياً.يا أخت هارون ما كان أبوك امرأَ سَوْءٍ وما كانت أُمك بغيّا.فأشارت

---

(٥) سورة يس : ٨٢.

(٦) سورة طه : ١٢٠.

إليه، قالوا كيف نكلمَ من كان في المهد صبياً.قال إني عبد الله لآتاني الكتاب وجعلني نبياً }[٧].

•

فالكلمة سلاح خطير يمتلكه الإنسان، ولكنها سلاح ذو حدَّين، حيث يمكن للإنسان أن يوظفها في سبيل الخير فيقطف منها الثمار اليانعة والنتائج الحسنة..ويا ويله إن هو استخدمها في اتجاه الشر، فإنها تعود عليه بالسوء والدمار.

والكلمة هي الكلمة، ولكنها حين تكون كلمة طيبة فستثمر الورود والزهور التي تعطر أجواء الحياة..وحينما تكون كلمة خبيثة فلن تعطي إلا الأشواك التي تدمي صاحبها وتعكر الأجواء..

ورائع هو المثل الذي ضربه القرآن للكلمة في الصورتين، حيث يقول تعالى:

{ألم ترَ كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال لناس لعلهم يذكرون.ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار }[٨].

•

من هنا جاءت التعاليم الإسلامية تلفت الإنسان إلى أهمية الكلمة وخطورتها، وتؤكد عليه مسؤولة الكلمة وآثارها، فليس هناك كلمة واحدة خارج نطاق المسؤولية والحساب..بل إن الإنسان محاسب ومسؤول عن كل كلمة يتفوه بها، فإن كانت طيبة نال جزاءها، وإن كانت خبيثة دفع ثمنها عذاباً وعقاباً..يقول تعالى:

{ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد }[٩].

---

(٧) سورة مريم : ٢٧- ٣٠.

(٨) سورة إبراهيم :٢٤- ٢٦.

(٩) سورة ق : ١٨.

ويقول الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في وصيته لأبي ذر الغفاري(رضي الله عنه):

(يا أبا ذر، إن الرجل يتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها، فيهوي في جهنم بين السماء والأرض)[١٠].

و الإنسان المؤمن عليه أن يشهر سلاح الكلمة لخدمة رسالته ومبادئه ولمصلحة أُمته ووطنه.. فبها يستطيع أمن يهدي الناس إلى الحق ويوصل إلى قلوبهم معاني الخير والصلاح ورد في الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم:

(ما أهدي مسلم هدية لأخيه أفضل من كلمة حكمة يزيده الله بها هدي أو يردّ بها عن ردى)[١١].

فلنشهر سلاح الكلمة لخدمة مبادئنا الرسالية ومن أجل إصلاح أُمتنا، فكم فجرت ثورة وغيرت مجرى التاريخ؟

وكم من كلمة صنعت ثائراً بقي منارة للأجيال؟

وكم من كلمة انتشلت إنسانا من هوّه الضلال والانحراف، ورفعته إلى أوج الهداية والصلاح؟...

•

وفي ثورة كربلاء كان للكلمة دور عظيم يضاهي مكانة دماء الشهداء..وكان للمرأة في هذا المجال من الثورة - مجال الكلمة الثورية - نصيب كبير..

فقد كانت كلمة امرأة الثورة دفعاً وتشجيعاً على النضال والثورة، وحرباً على نفوس أتباع السلطة وجنودها، تضعف معنوياتهم، وتستثير ضمائرهم.

وإعلاماً جماهيرياً، يكشف للناس حقيقة الثورة وأهدافها، ويمزق حجب التضليل والتزييف الإعلامي السلطوي.وقد لعبت الكلمة

---

(١٠) الواعظ ج٦ ص٣٥٨.

(١١) سفينة البحار ج٢ص٢٩٣.

الهادفة المنسابة من فم المرأة المؤمنة دوراً اساسياً في صنع بعض بطولات الثورة وملاحمها.

فهل سمعتم عن لبطل زهير بن القين، الذي جعله الإمام حسين عليه السلام قائداً للجناح الأيمن من جيشه؟

زهير الذي يتدفق حيوية وحماساً، يقول للإمام الحسين عليه السلام (والله لو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلَّدين، إلا أن فراقها في نصرك ومواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامة فيها).

ويقول مرة أخرى: (والله وددت أني قُتلت ثم نُشرت ثم قُتلت حتى أقتل كذا ألف قتلة، وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك).

زهير لذي كان يحمل على القوم ويصول في الميدان يضرب ويطعن ويرتجز قائلاً:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

إن هذا البطل كان يسير في اتجاه مناوئ للثورة!! ولكن كلمة صادقة مخلصة من فم زوجته المؤمنة كانت السبب في تغيير موقفه وانضمامه إلى صفوف ثوار العقيدة والإيمان.

فكيف حدث ذلك؟

يحدثنا التاريخ على لسان أحد الرواة:

كنا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكة بعد انتهاء فريضة الحج، مكنا نساير قافلة الإمام الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدم زهير، حتى نزلنا يومئذ في منزل لم نجد بداً من أن ننازله فيه، فنزل الحسين في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوس نتغذي من طعام لنا، إذ اقبل رسول الحسين حتى سلم، ثم دخل فقال:

يا زهير بن القين، إن أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه.

فطرح كل إنسان ما في يده من طعام، وساد صمت رهيب في الخيمة حتى كأن على رؤوسنا الطير، كراهة أن يذهب زهير إلى الحسين!...

ولكن زوجة زهير (واسمها دلهم بنت عمرو) مزقت أجواء الصمت والذهول بكلمة قوية ثائرة حيث التفتت إلى زوجها قائلة:

يا زهير، أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟! سبحان الله، لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت.

فكان لهذه الكلمة المخلصة وقع عجيب في نفس زهير، جعله يتخلص من تردده وحيرته ويستجيب لرسول الحسين، وإن كان في النفس شيء من الكراهة.

واستقبله الإمام الحسين عليه السلام وتحدث معه كثيراً حول دوافع ثورته وأهدافها، ووضعه أمام ضميره ووجدانه، وذكره بحديث سابق سيخبرنا به زهير فيما بعد.

وهنا اتخذ زهير قراراً حاسماً يضع به حدّاً لحياته السابقة، ويبدأ به حياة جديدة تحت راية الثورة والنضال في سبيل الله ومن أجل الجماهير المستضعفة المحرومة.

وعاد إلى قومه مستبشراً قد أسفر وجهه، فأمر بفسطاطه وثقله ورحله ومتاعه أن ينقل إلى مخيم الحسين.

والتفت لزوجته قائلاً:

(أنتِ طالق، الحقي بأهلك فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير، وقد عزمت على صحبة الحسين لأفديه بروحي وأقيه بنفسي).

ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها.فقامت إليه زوجته وبكت وودّعته قائلة: خار الله لك، أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين!...

وقال لأصحابه:

من أحب منكم أن يتبعني، وإلا فهو آخر العهد مني.ثم قال: إني سأحدثكم حديثاً:غزونا (بلنجرة) ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ففرحنا، فقال لنا سليمان الباهلي:

أفرحتم بما فتح الله عليكم وأصبتم من الغنائم؟

فقلنا: نعم.

فقال لنا: إذا أدركتم شباب آل محمد فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم منكم بما أصبتم من الغنائم!...

فأما أنا فإني أستودعكم الله[١٢]. ...

•

وهكذا استطاعت زوجة زهير بكلمة أن تضع زوجها على طريق الثورة.فالكلمة الصادقة الحقة لها مفعول كبير وتأثير عظيم بحجم موقعها وهدفها.فعلى الرسالي أن لا يبخل بالكلمة وأن يحسن استخدامها.

ومرة أخرى:

فلنشهر سلاح الكلمة لخدمة مبادئنا العظيمة وأهدافنا الرسالية السامية.

---

(١٢) أعيان الشيعة ج٤ ص٩٢.

المرأة حين تفوق الرجال

الثورة التي تنطلق من صميم الشعب، وتهدف حماية حقوقه وصيانة رسالته ومبادئه..

هذه الثورة المخلصة من الذي يحميها من الأعداء الحاقدين والمتسلطين والذين إنما انطلقت الثورة لتخلص الشعب من ظلمهم وطغيانهم؟

هل يُنتظر من القوى الأجنبية خارج المحيط الإسلامي أن تدعم ثورة مخلصة تريد إسعاد الشعب المسلم واستقلاله وتقدمه؟

بالطبع: كلا..فالقوى الأجنبية إنما تدعم الثورات العميلة والحركات المضللة، حتى تجعلها جسراً تعبر عليه للتغلغل والسيطرة ومد النفوذ داخل الأمة الإسلامية، لتحقيق المصالح الاستعمارية.

أما الثورة الإسلامية المخلصة التي تنطلق من صميم الشعب فلا يُنتظر لها الدعم من القوى الأجنبية..بل ستسدد لها الضربات العنيفة القاضية.فهل سيحتضنها التجار الأثرياء والشخصيات الاجتماعية النافذة؟.

في الواقع كان من واجب التجار والزعماء الاجتماعيين أن يقوموا بدورهم في دعم الثورات المخلصة المستقلة وحمايتها من ضربات الأعداء..ولكن المؤسف جداً أن غالبية هذه الطبقة تتخذ موقفاً سلبياً ومناوئاً من الثورات الشعبية المخلصة! وذلك لرغبتها في مهادنة الوضع القائم والاستفادة من الامتيازات التي يمنحها لهم ولو على حساب

الشعب والمبدأ.ولخوفها من تطبيق حكم الحق والعدل بعد نجاح الثورة، فسوف لن تتمكن حينئذٍ وفي ظل حكم الحق أن تمارس أي دور استغلالي، أو تنال أي امتيازات طبقية!.

ولذلك كان موقف أكثري الأثرياء والزعماء موقفاً عدائياً للثورات الرسالية الصادقة، طوال التاريخ، كما يؤكد القرآن الكريم بقوله:

{ وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنّا بما أرسلتم به كافرون.وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً وما نحن بمعذبين }(١٣).

والمترفون هنا الأثرياء والشخصيات الاجتماعية، والذين يتخذون منهم الموقف المناوئ للحركات الشعبية الرسالية يرتكبون خطأً كبيراً، ويمارسون دوراً أحمقاً جداً.

ذلك لأن إخلاصهم لسلطات الظلم واقع الطغيان، سوف لا يحميهم من نزوات الطغيان والظلم، ففي آية لحظة من لحظات الهوى والطيش عند الحاكم المستبد الظالم يمكن أن يقرر مصادرة حياة أكبر تاجر أو أعظم شخصية وزعيم!! وفي التاريخ مشاهد بشعة لنهايات كثير من الأثرياء والزعماء على أيدي الطغاة الديكتاتوريين!...

فالثري والزعيم الذي يضع مستقبله ومصيره في يد حاكم مستبد إنما يسلم نفسه إلى كف عفريت.ومن ناحية أخرى، فإنهم سيكونون مجبرين على الخضوع وقبول تجبر ذلك الطاغية وتكبره، فهم بين يديه أذلاء خاضعون وعبيد مطيعون، وإن كانوا يتعاملون مع سائر الناس كزعماء وشخصيات محترمة.

وفوق كل ذلك، فإن ثورة الشعب وحركته لا بدّ وأن تنتصر وتسحق عروش الظلم والطغيان بإذن الله تعالى الذي وعد المستضعفين بالظفر والغلبة كما يقول عز وجل:

---

(١٣) سورة سبأ : ٣٤- ٣٥.

{ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم الوارثين}.

فلماذا يراهن الأثرياء والزعماء على ورقة الظلم الخاسرة ويناوئون جبهة الحق التي لا بد وأن يحالفها النجاح؟

•

وإذا كان أكثر أصحاب النفوذ الاجتماعي والثروة المالية يتخذون هذا الموقف أحمق في مواجهة الثورة الشعبية الرسالية، فمن يحمي الثورة إذاً من أعداء الرسالة والشعب؟

ليس إلا جماهير الشعب نفسه، فالثورة منهم وإليهم، ولأجلهم انطلقت وفي سبيل تحريرهم وسعادتهم تفجرت..

وجماهير الشعب إذا صممت على النضال ونظمت صفوفها في مواجهة العدو قادرة - بإذن الله - على إسقاط اكبر فرعون، وتحطيم أقوى عرش!. ..

تلك هي إرادة الله، وذلك هو منطق التاريخ الذي أجاد أبو القاسم الشابي في التعبير عنه بقوله

إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلا بدّ أن يستجيب القدر

ولكن (ولعن لله لكن) ماذا إذا استطاعت أساليب السلطة المختلفة بالترهيب والترغيب، وإعلامها المزيف: أن تخدع جماهير الشعب وتضللهم، وتبعث في صفوفهم الانقسام والتخاذل واليأس ولاستسلام؟

ستصاب الثورة عندها بهزيمة بشعة، ونكسة مؤلمة، يبقي الشعب على أثرها ولمدة طويلة تحت سيطرة الظلم والجور!..

•

وهذا ما حدث لثورة الإمام الحسين عليه السلام، فقد قاربت النجاح وأوشكت أن تسيطر على الامور في عاصمة العراق: الكوفة، بعد قدوم سفير لحسين وممثله الشخصي: مسلم بن عقيل

عليه السلام، والذي بايعته جماهير الكوفة بتلهف واشتياق، فأخذ ينظم صفوفهم، ويعدّهم للانقضاض على الحكم الاموي المستبد، ويهيئهم للخضوع لسلطة الإسلام العادلة..

بيد أن السلطة الاموية تداركت الأمر بخبث، فاختارت عبيد الله بن زياد، الإرهابي المخادع، للسيطرة على الوضع في الكوفة، وإجهاض حركة (مسلم بن عقيل) قبل أن يكتمل نجاحها.وما أن وصل ابن زياد إلى الكوفة، واستلم قصر الإمارة، حتى بدأ يتفنن في أساليب التضليل والخداع، والترهيب والترغيب، للفصل بن الجماهير وبين قائد لحركة وممثل الثورة (مسلم بن عقيل).

فقد أرسل الرشوات والهدايا والعطاءات لزعماء القبائل، ووعدهم بالمزيد، وزاد في رواتب الجنود والموظفين، واعتقل الزعماء المخلصين، وصار يهدد الناس ويتوعدهم بجيوش الشام.

ونجحت أساليبه في تثبيط عزائم الناس، وتضليلهم وخداعهم، وأخذوا يتفرقون عن ممثل الثورة (مسام بن عقيل)! اللهم إلا من رسخ الإيمان في نفسه فتجاوز به حدود العقبات والمخاطر، واستقر الوعر في قلبه فسما به على أساليب الخداع والتضليل.

•

وكانت المرأة هي المظهر الصادق، النموذج الرائع، للفرد الذي يتسامى على وسائل الترهيب وأساليب الخداع، في ذلك الجو الحالك المكفهرّ.

إنها (طوعة) السيدة المؤمنة الواعية، التي احتضنت ممثل الثورة (مسلم بن عقيل) حين تفرّق الناس عنه..وحمَت القائد وآوته حين تقاذفته سكك الكوفة وشوارعها..فتفوقت بعملها البطولي وموقفها الثوري على جميع رجال مجتمعها الجبناء الخانعين!..

فبعد أن اعتقل هاني بن عروة، والذي كان بيته مقرّاً (لمسلم بن عقيل) ووكراً للثورة، أصبح مسلم يبحث عن مأوى جديد، يعيش فيه بعيداً عن عيون السلطة، ويمارس نشاطه الثوري.

بيد أن الهزيمة في ذلك اليوم والتخاذل سيطرا على كل النفوس، فما أن انتهي مسلم من صلاة الجماعة ليلاً، حتى تفرّق الناس عنه وذهب كل رجل إلى بيته، بينما القائد وحيداً حائراً لا يعرف بيتاً ملائماً يلتجئ إليه لمواصلة نشاطه وعمله.

وصار يمشي في شوارع الكوفة وسككها في ظلام الليل الدامس، وإذا به يجد نفسه أمام امرأة محتشمة، تقف عل باب دارها كأنما تنتظر أحداً من أهلها.

فبادرها (مسلم) بالتحية والسلام.

فردّت عليه (طوعة) تحيته وسلامه بتثاقل وحذر!ثم قالت له: ما حاجتك؟

أجاب مسلم: اسقني ماءً.فجاءته بالماء، وشرب منه، ثم بقى واقفاً أمام المنزل!

قالت طوعة: ألم تشرب الماء؟

بلى.

إذاً أذهب إلى أهلك إن مجلسك هنا مجلس ريبة!

وسكت مسلم على مضض، فأعادت عليه القول بالانصراف وهو ساكت، وكررت عليه القول ثالثاً فلم يجبها، فذعرت منه وصاحت به:

سبحان الله..إني لا أحلُّ لك الجلوس على بابي!

هنا لم يجد مسلم بدَّاً من الانصراف، ولكنه قال لها بصوت هادئ حزين النبرات:

ليس لي في هذا المصر منزل ولا عشيرة، فهل لك إلى أجر ومعروف باستضافتي هذه الليلة، و لعلي أُكافئك بعد هذا اليوم؟

وشعرت المرأة بأن الرجل غريب، وأنه ذو شأن يمكنه من الوعد بمجازاتها على معروفها وإحسانها، فبادرته قائلة:

- وما ذاك؟

فقال لها والألم يعتصر قلبه:

- أنا مسلم بن عقيل، كذبني القوم وغرّوني!

فقالت له (طوعة) في دهشة وإكبار:

أنت مسلم بن عقيل.

نعم.

فرحبت به أجمل ترحيب، واعتبرت الموقف نعمة كبرى، وفرصة ذهبية، وفرها لها التوفيق، لتستطيع أن تقدم خدمة لمثل الإمام الحسين عليه السلام، وسفير الثورة، وربيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

هيّأت له بيتاً في دارها، وقدمت له الطعام، ولكن نفسه الحزينة على أوضاع المجتمع لم تسمح له بالأكل ولو قليلاً.

وبعد فترة أقبل ولد (طوعة) الذي كانت تنتظره على الباب واسمه بلال.

فرأى أُمه تكثر الدخول إلى البيت الذي يقيم فيه (مسلم) وتحمل إليه ما يحتاج من طعام وشراب وفراش وماء للوضوء..فسألها:

- هل لديك ضيف في هذا البيت؟

أجابته (طوعة):

- نعم، ولكن لا أخبرك به حتى تعاهدني وتحلف لي اليمين على أن لا تفشي سرّه..فهي تعرف الأوضاع وتعي الظروف.

فعاهدها وحلف لها أن يكتم السرّ ولا يخبر به أحداً..فأعلمته بخبر(مسلم)، فتظاهر بالرضا عما حصل.

وبات (مسلم بن عقيل) تلك الليلة متفكراً في قضايا الأمة، متأملاً في أوضاع المجتمع، متألماً من مسيرة الأحداث، ولكنه

كان يستلهم من تلاوة القرآن وأوراد الصلاة روح الصمود والصبر، لمواجهة الواقع الأليم.

وباتت (طوعة) شاكرة لله هذه النعمة الكبيرة، حامده له هذا التوفيق العظيم، ولكنها في نفس الوقت كانت قلقة وجلة مما قد يخبئه المستقبل لممثل الثورة في بيتها.

وبات ولدها (بلال)في غمرة من الفرح والسرور، ينتظر انبثاق نور الفجر، ليبشر السلطة بالعثور على القائد البطل، وكانت السلطة جادّة في البحث عن (مسلم)، وتبذل الاغراءات والعطاءات كجوائز لمن يأتي للسلطة بخبر (مسلم).

وهاهو (بلال) يجد مسلم في بيته دون أن يحتاج إلى عناء البحث والطلب، فما عليه إلا أن يغتنم الفرصة، ويوصل الخبر إلى السلطة لينال الجائزة الثمينة! ويحظى بالمكانة السامية!... هكذا زينت له نفسه الشقية، فخرج في الصباح مبكراً، وأوصل الخبر إلى الأمير الأموي عبيد الله بن زياد، الذي أسرع في إرسال فرقة من الجيش معززة بالسلاح، لتطويق بيت (طوعة) للقبض على (مسلم بن عقيل).

وحينما سمع (مسلم) وقع حوافر الخيل، استعد لمواجهة العدو مبادراً لحمل السلاح.. والتفت إلى السيدة المؤمنة (طوعة) وشكرها على ضيافتها، وأخبرها أن ولدها هو الذي أوصل الخبر إلى السلطة، وقال لها:

- رحمك الله وجزاك عني خيراً..اعلمي إنما أتيت من قبل ابنك!

ومنا تمزقت نفس (طوعة) حزناً ألماً، واسودّ الفضاء أمام عينيها، وضاقت الدنيا على نفسها.. بينما كان (مسلم) يبادر إلى الخروج من الدار قبل أن يقتحمها الجيش، فتضعف فرصته في المقاومة داخل الدار.

وعلى باب منزل (طوعة) دارت معركة عنيفة بين رجل واحد هو (مسلم بن عقيل) وبين جيش كبير يطلب المدد بالسلاح والرجال عدة مرات من ابن زياد!..

وانذعر القوم من بسالة (مسلم) وبطولته، فعرضوا عليه وقف القتال، وأعطوه الأمان إن هو استسلم، فأبى الاستسلام ورفض أمان الخونة، واستمر في مقاومتهم وهو يرتجز قائلاً:

أقسمت لا أُقتل إلا حرا وإن رأيت الموت شيئاً نكرا

كل امرئٍ يوماً يلاقي شرا أخاف أن أكذب أو اغرّا

إلى أن تكالب عليه القوم، وأثخنوه جرحاً، فوقع في أيديهم أسيراً! فساد عليهم فرح الانتصار، بينما ذاب قلب (طوعة) ألماً وحزناً تعاطفاً مع القائد الأسير.وقُتل (مسلم) وأُجهضت تلك الحركة الثورية، ولكن (طوعة) سجلت في التاريخ موقفاً ثورياً مشرفاً يُرينا شخصية المرأة حين تفوق الرجال.

تبذل ما لها لترحيل الثوار

أي ثورة أو حركة في العالم لا بد لها من التفكير في مصدر مادي لتمويل أعمالها ونشاطاتها الثورية..فالثوار المتفرغون لأعمال الثورة يحتاجون إلى نفقة لتأمين ضرورات حياتهم، والمهمات الثورية تحتاج إلى مال لإنجازها..

فمن أين توفر الثورة المال والثروات تحت سلطات الجور والطغيان؟

وهذه مشكلة خطيرة تواجهها الثورات والحركات التغيرية، وهي مشكلة (المال)، وقد تصبح الثورة مهددة بالجمود أو المساومة على استقلاليتها وأهدافها من قبل مصادر المال والثروة.فهناك جهات في الداخل والخارج يحاول استغلال الثورة والمساومة على أهدافها، في مقابل دعمها بما تحتاج من المال!..

ولكن الثورة الواعية المخلصة هي التي تتجاوز هذه العقبة وتحافظ على استقلالها وأصالتها.. ويمكنها الاعتماد على المصادر التالية لتغطية احتياجاتها المالية:

أولاً: أموال الثوار أنفسهم..فالإنسان الثائر، والذي يقدم نفسه لخدمة الثورة، ليس من الصحيح أن يبخل بما يملك من مال أو عقار، بل عليه أن يتنازل عن كل شيء من أجل أهدافه المقدسة التي آمن بها.

أما أن يكون ثورياً، وفي نفس الوقت يهمه المحافظة على رصيده النقدي، أو على بيته الجميل، أو على سيارته الفارهة، إنها إذاً لثورية مزيفة!.

ثانياً: أن يحاول الثوار إنقاذ ما مكن من أموال الشعب التي بيد السلطة وتوظيفها في خدمة الثورة.. فملكية السلطة الظالمة المغتصبة غير محترمة ويجوز للعاملين من أجل مصلحة الشعب أن يأخذوا منها ما يستطيعون.

فالذي لا يحق له أن يحكم لا يحق له أن يملك.

هل تملك – مثلاً – السلطة التي تحتل كراسي الحكم بالباطل: أن تجني الضرائب، وتتصرف في الأراضي، وتتسلم هدايا الناس للحكام؟

إن الذي ليس كفؤاً لإدارة البلاد مغتصب ولا بد أن لا يملك، و إلا لأصبحت ملكيته مكافأة له على الغصب والاحتيال.

وهذا ما لا تقرّه قيَم الدين.

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاول أن يصادر (عير قريش) وهي محملة بالبضائع التجارية من الشام إلى مكة، لأن حكام مكة – الذين كانت العير لهم – كانوا يحكمون بالباطل، ويغتصبون أموال المسلمين، ويستأثرون بما للناس فيه أسوة.

فهم لم يكونوا يملكون السلطة على بلاد الله..ومن ثم فهم لا يملكون.

وهكذا فعل الإمام الحسين عليه السلام.

في طريقه إلى كربلاء – وبالضبط في منطقة تنعيم القريبة من مكة – صاد جمالاً محملة بالهدايا من الورس والحلل إلى يزيد بن معاوية، بعث بها عامله على اليمن، فصادرها الإمام وقال لأصحاب الجمال:

من أحب أن ينطلق معنا، وفيناه (أعطيناه) كراه (أجرته)، وأحسنّا صحبته، ومن أحب أن يفارقنا أعطيناه – هو الآخر – كراه..

فالتحق بعضهم به، وفارقه آخرون..ولكن الهدايا أصبحت في حوزة الثورة، ولم تصل إلى يزيد![١٤].

ثالثا: أن يوفق الله تعالى بعض الأثرياء من الشعب، لتفهم موقف الثورة والتعاطف معها.. وبذل المال لتميل الثورة عمل ثوري، لا يقلُّ أهمية عن بذل النفس، لذلك قرن الله تعالى الجهاد بالمال في القرآن الكريم بالجهاد بالنفس، في أكثر الموارد: يقول تعالى:

{ انفروا خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون }[١٥].

وفي آية أخرى يقول تعالى:

{ فضَّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة }[١٦].

وقد لعبت أموال خديجة وثروتها دوراً أساسياً في مساعدة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على نشر دعوته..حتى لقد عادل الرسول الأعظم آثار خديجة بمفعول بطولة علي بن أبي طالب عليه السلام وشجاعته وجهاده، كما في الحديث المشهور: (قام الجهاد على شيئين: سيف علي ومال خديجة).

وأي امرأة واعية كخديجة، إذا كانت تملك مالاً، فسوف لا تجد مصرفاً أفضل من مجال خدمة الرسالة وإصلاح المجتمع..أما المرأة التي لا تمتلك رؤية واضحة ولا وعياً سليماً، فإنها ستستمتع بتبذير أموالها على متاجر الأزياء ومحلات التجميل والأناقة!..

•

(١٤) الشهيد والثورة ص ١٥٠.

(١٥) سورة التوبة: ٤١.

(١٦) سورة النساء: ٩٥.

وفي ثورة كربلاء كان لخديجة امتداد، ولدورها وجود..فقد مثلت (مارية بنت منقذ العبدي) دور خديجة في بذل مالها وثروتها لخدمة الثورة الإسلامية العظيمة.

و (مارية) كانت تقطن البصرة، وأسرتها تحظى بمكانة مرموقة في المجتمع البصري.. ولأسرتها دور في مناصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

لذا فقد قُتل زوجها وأولادها ضمن جبهة الإمام علي في وقعة الجمل، وعاشت (مارية) بعد ذلك أرملة وحيدة في بيتها، وتحت يدها ثروة طائلة.ونظراً لمكانة أسرتها في المجتمع، ولأنها على مستوى من المعرفة والتقوى، فقد كان بيتها مجمعاً لشخصيات الشيعة في البصرة وزعمائهم.. يقصدون بيت (مارية) كل ليلة، ويقضون فيه بعض المقت يناقشون قضاياهم، ويتشاورون في أمورهم.

وعندما صمم الحسين عليه السلام على تفجير ثورته المقدسة، ومغادرة الحجاز، كتب رسائل إلى وجهاء البصرة وأشرافها، يدعوهم فيها للانضمام إلى ثورته واللحاق بركبه..ولكنهم قد أرخوا عنان أنفسهم للخوف والجبن، وبخلوا بأرواحهم على رسالتهم وأُمتهم!..

ولكن (مارية) المرأة الأرملة، قامت بنشاط ملحوظ ودور مؤثر، في تشجيعهم لنصرة الإمام السين عليه السلام وتحفيزهم على الانضمام إلى ثورته المقدسة.

فيروى أنها أقبلت إلى مجلسها بعد أن اجتمع فيه الأشراف والوجهاء، ووقفت أمامهم تجهش بالبكاء والنحيب..

وسألها الحاضرون عن سبب صراخها وغضبها؟

فقالت: ويلكم ما أغضبني أحد!.. ولكن أنا امرأة ما أصنع؟ سمعت أن الحسين ابن بنت نبيكم استنصركم وأنتم لا تنصرونه!!

فأخذوا يعتذرون منها لعدم السلاح والراحلة.

فقالت: أهذا الذي يمنعكم؟

قالوا: بلى.

فالتفتت إلى جاريتها وقالت لها:

انطلقي إلى الحجرة، و آتيني بالكيس الفلاني.

فانطلقت الجارية، وجاءت بالكيس..

وفتحت (ماريـة) الكـيس وأفرغتـه علـى الأرض، فـإذا دنـانير ودراهم..فقالت:

فليأخذ كل رجل منكم ما يحتاجه وينطلق إلى صرة سيدي ومولاي الحسين!..

هكذا تقدم (مارية) درساً ثورياً بليغاً للأجيال، حينما تبذل مالها لترحيل الثوار ونصرة الثورة

رفضت الماء وأراقته تضامناً مع الثورة

بينما يتلقى الثوار ضربات العدو القاسية، يواجهون تحدياته العنيفة، ويعانون من العقبات والأشواك التي يزرعها في طريق الثورة، وأمام الثوار..

هل يجوز للشعب أن يقف متفرجاً مكتوف الأيدي، يشاهد مصارع أبنائه المخلصين وحماته الرساليين، دون أن يحرك ساكناً؟

كلا...

إن موقف السلبية والتفرج، أو الحياد وعدم التدخل، موقف خائن أهوج...

إذ إن القضية ليست صراعاً شخصياً أو نزاعاً على مصالح خاصة بين الثوار والسلطة.. إنما هي صراع مبدئي من أجل مصلحة الأمة، وإعلاء كلمة الحق ولحماية حقوق الناس وحرياتهم.. وسلبية الشعب تجاه الثورة يشجع السلطة على الاستمرار في إنزال أقسى العقوبات بالثوار، ويغريها بالتفنن في أساليب المواجهة للقضاء على الثورة المخلصة..وهذا يعني مزيداً من الاستعباد والإرهاب سيعيشه الشعب في ظل تلك السلطة الظالمة، بتخاذله عن نصرة الثائرين من أجل حقوقه وكرامته.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

(لو لم تتخاذلوا عن نصرة الحق، ولم تهنوا عن توهين الباطل، لم يطمع فيكم من ليس مثلكم، ولم يقو من قوي عليكم)[١٧].

وهذه حقيقة ثابتة أكدتها أحداث التاريخ..فأي شعب يتقاعس عن الثورة، ويتخاذل عن الثائرين تطول مدة استعباده ويعاني المزيد من الإرهاب والهوان.فشعب العراق حينما ساده التخاذل، واتخذت أغلبيته

---

(١٧) نهج البلاغة.

موقف السلبية تجاه ثورة الحسين عليه السلام تحت شعار: الحسين سلطان ويزيد سلطان، وما لنا والدخول بين السلاطين؟!

وبذلك أعطوا السلطة مجالاً لسحق الثورة وتصفية أبطالها، بينما هم يتفرجون على ذلك!.. فماذا كان مصيرهم بعد ذلك؟

كانت النتيجة بعد ذلك أن عاشوا في ظل السلطة الأموية الظالمة، تسومهم الذلّ والهوان، لمدة نصف قرن من الزمن تقريباً!..

ويحدثنا التاريخ أن أحد ولاة السلطة الأموية على العراق، وهو الحجاج بن يوسف الثقفي، والذي حكم العراق لمدة عشرين سنة، وحينما مات (أحصى من قتله صبراً سوى من قُتل في عساكره وحروبه، فوجد مائة وعشرين ألفاً!.. ومات وفي حبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة منهن ستة عشر ألفاً مجرّدة عن الثياب!..وكان يحبس النساء والرجال في موضع واحد!..ولم يكن للحبس ستر يستر من الشمس في الصيف ولا من المطر والبرد في الشتاء!)[١٨].

وقد حذر الإمام الحسين عليه السلام الشعب العراقي من هذا المصير الأسود، عبر خطبته التي ألقاها أمام الجيش في صحراء كربلاء، في اليوم العاشر من محرم، والتي قال فيها :

{ تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً (أي: بؤساً لكم وحزناً)

أحين استصرختمونا والهين (أي: إن واقعكم السيئ في ظل الجور والطغيان، هو الذي دفعنا للثورة)

فأصرخناكم موجفين (ثرنا على الاستبداد الذي يحكمكم بقوة وعنف)

سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم (فالمفروض أن تنصروا الثائرين من أجلكم لا أن تنصروا السلطة المعتدية)

---

(١٨) مروج الذهب للمسعودي ج٢ ص١٥٧.

وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوِّنا وعدوكم (فنحن لا نكافح السلطة لعداوة بيننا وبينها ، بل لأنها عدوة كل الشعب)

ويحكم ! أهؤلاء (السلطة) تعضدون، وعنا (نحن الثوار) تتخاذلون؟!..

وايم الله (قسماً بالله) لا تلبثون بعدها إلا كريثما يركب الفرس (فالسلطة استغلتكم لتقوية وجودها بالقضاء على المعارضة) حتى تدور بكم دور الرحى (تستعبدكم استعباداً شديداً) وتقلق بكم قلق المحور (تشيع الرعب والإرهاب في صفوفكم)}[١٩].

•

فعلى الشعب أن يكون واعياً لدوره، عارفاً بمسئوليته، في دعم ثورته المخلصة، والدفاع عن الثوار وحمايتهم.ويجب على كل فرد من أفراد الشعب و أن يقوم بدور ما في خدمة الثورة للتضامن مع الثائرين.فإذا لم يستطع الانخراط في صفوف المجاهدين الثوار، فليدعمهم بالمال، أو ليساهم في الإعلام للثورة، ونشر أهدافها وأفكارها، أو ليقم بأي عمل يتضامن به مع الثوار، ويعلن به شجبه ورفضه لسياسة السلطة وتصرفاتها، بالإضراب..أو بالمظاهرة..أو بالاعتصام..أو بأي شيء آخر...

•

وأطفال الحسين الصغار، وبناته الصغيرات، وهم يعيشون على أرض المعركة (كربلاء)، ويشاهدون تساقط الثوار بحراب العدو.. لم يرضوا لأنفسهم أن يقفوا موقف السلبية، أو يمارسوا دور التفرج والمشاهدة، بل صاروا يبحثون عن وسيلة للتعبير عن تضامنهم مع الثورة، وشجبهم لتصرفات العدو..

ووجدوها وسيلة للتضامن والرفض، ولكنها كانت وسيلة قاسية، فتحملوها حيث لم يجدوا غيرها.. فقد رفضوا الماء، رغم ما

---

(١٩) مقتل الحسين.

يعانون من شدة عطش وظمأ..وسقط بعضهم ميتاً من العطش، ولكنهم أصروا على رفض الماء في ذلك اليوم وأضربوا عنه، لأن ذلك هو طريقتهم الوحيدة في التعبير عن موقفهم..

وترحم أحد جنود العدو على الأطفال، عندما رآهم يسقطون على الأرض، من شدة العطش، وبعد أن قضوا نهاراً مزعجاً، انهالت عليهم فيه الآلام والمصائب، وفقدوا فيه كل شيء، الرجال.. الخيام. . الأمتعة.. حتى الأقراط نُزعت من آذان البنات الصغيرات!..

بعد أن انصرم هذا النهار القاسي، بدأ العطش يسلب قوة تلك الأبدان الضعيفة..فتتساقط ببراءة على رمال كربلاء..تأثر أحد الجنود بهذا المنظر الأليم..فجاء إلى ابن سعد وسأله: إن كان ينوي قتل الأسرى والأطفال؟

وحينما أجابه عمر بن سعد بالنفي، التمس منه أن يسمح له بأخذ قربة من الماء لهم، ليقاوموا به العناء والظمأ..فلم يرفض ذلك ابن سعد.أسرع الجندي إلى المشرعة، وملأ آنية خزفية بالماء وجاء بها إلى الأطفال..وهم يقفون في صف طويل مدهوشين، لا يفهمون ما يجري حولهم..

وقدم الجندي آنية الخزف المملوءة بالماء إلى الأول.كان يظن أنه سيمسكها بكلتا يديه، ويعب منها كل ما فيها.. ولكن الطفل عندما رأى ماءً رفض أن يشربه!..

فقدم الآنية إلى الثاني، ورفض هو بدوره أن يشرب!..

فقدمها إلى الثالث، فالرابع، فالخامس..وكلهم رفضوا أن يشربوا!..

إلا أن الأخير منهم، وكانت فتاة صغيرة، أمسكت بالآنية وانحدرت بها نحو ساحة المعركة.. فلحقها الرجل وهو يصيح:

- أين؟ أين؟

قالت :

- أذهب للحسين..إنه كان عطشاناً.. أريد الحسين..

فقال لها الرجل:

- الحسين قُتل!..

فرمت الآنية، وكسرتها، وأراقت الماء، وقالت

- وأذلاّه!..

•

ماذا كان يملك الأطفال غير العطش وسيلة لرفض الذلّ والخنوع؟

وماذا كانوا يملكون هدية للإمام، ليكون رمزاً للوفاء له، غير كسر آنية الماء؟

وهكذا عبّرت البنت الصغيرة - نيابة عن الأطفال - برفض الماء وكسر آنيته، عن تضامنها مع الثورة، ومواساتها للثوار الذين قتلوا عطاشى!..

•

حقاً:

إن الثورة تزيد في الأعمار..

وإن عجلات التاريخ خلال الثورة تقطع المسافات الطويلة بسرعة كبيرة..

فيكبر الأطفال بدل الساعة عاما.وبدل اليوم قرناً.ويبدءون في حمل قضية الأمة وهم في عمر البراعم [٢٠]...

(٢٠) الشهيد والثورة ص ٢٣١.

وفازت بالشهادة

ما هو اقرب طريق وأفضل طريق إلى الجنة؟

بكل قطع وتأكيد تقول النصوص الدينية: أنه الشهادة.

فالشهادة هي اختصار الطريق إلى الجنة، والتخلص من صعوبات التحقيق والحساب على الصراط وفي عرصات القيامة. فالشهيد يغادر الدنيا إلى الجنة رأساً، وكما في الحديث: إن راس الشهيد يصل إلى أحضان حور الجنة قبل سقوطه على أرض المعركة..!

ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجلاً يدعو قائلاً: اللهم إني أسألك خير ما تسأل فاعطني أفضل ما تعطي.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: (إن استجيبت لك أريق دمك في سبيل الله)[٢١].

فالشهادة خير ما يطلب من الله وأفضل ما يعطيه الله لأحد من خلقه. والإنسان المؤمن الواعي لا يختار عن الشهادة بديلاً - إن استطاع - لأن حرمان الشهادة في وقتها يعني انتظار الموت الرخيص على الفراش.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

(والذي نفسي بيده، لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على الفراش)[٢٢].

وبهذا تكون الشهادة قمة الفضل ومنتهى الخير والمجد.

---

(٢١) الفقه – كتاب الجهاد لآية الله السيد محمد الشيرازي ج١ ص ١٢.

(٢٢) المصدر ج٢ ص١٥٠.

قال الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (فوق كل ذي برٍّ برّ حتى يقتل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه برّ)[٢٣].

وبهذه الرؤية العميقة والروح السامية، كان أبطال كربلاء ينظرون إلى الشهادة ويستقبلونها.

فالأم التي كان يقتل ولدها في سبيل الله، لا تأسف عليه ولا تتألم له، بل تغبطه وتودّ منافسته في فضل الشهادة.. والزوجة التي يخرج زوجها إلى ساحة المعركة تتمنى أن تكون معه لتناضل إلى جنبه في سبيل الله، ولتحظى بالشهادة مثله...

•

هذا عبد الله بن عمير الكلبي يخوض المعركة بحماسة واندفاع ويرتجز أثناء القتال قائلاً:

إن تنكروني فأنا ابن الكلبي
إني امرؤٌ ذو مرّةٍ وعضب
ولست بالخوار عند النكب

ومن الخيمة خرجت زوجته أم وهب، وقد أخذت بيدها عموداً وهي تهرول نحو المعركة، وتشجع زوجها على القتال قائلة: فداك أبي وأمي، قاتل من دون الطيبين ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وحاول زوجها عبد الله أن يرجعها إلى الخيمة، فرفضت الرجوع.. لولا أن الإمام الحسين عليه السلام أسرع إليها طالباً منها الرجوع إلى الخيمة، حيث لم يكن من خطة المعركة اشتراك النساء في القتال.. وقال لها: جزيتم من أهل بيتٍ خيراً، ارجعي - رحمك الله - ليس الجهاد على النساء.

---

(٢٣) المصدر ج٢ ص ١٥٠.

واستجابة لأمر القائد الإمام عليه السلام، رجعت أم هب إلى الخيمة، والحسرة تأكل نفسها، حيث لم تستطع الاشتراك في المعركة!..

ولكنها لم تكد تستقر في الخيمة حتى بلغها مقتل زوجها واستشهاده في سبيل الله، فانطلقت تبحث عنه بين جثث القتلى في أرض المعركة.. ولما وصلت إليه جلست إلى جنب حثته المضمخة بدماء الشهادة.. وملء نفسها الثقة والاطمئنان والصمود.. وهي تبارك له عرس الشهادة، وتخاطبه بإيمان وإخلاص:

- هنيئاً لك الجنة.. أسأل الله سبحانه الذي رزقك الجنة أن يصحبني معك..

وبينما هي في غمرة المناجاة، إذ أمر شمر بن ذي الجوشن غلامه رستم بقتلها..وبعمود من الحديد هشم رأسها، فتقع صريعة إلى جانب زوجها الشهيد، ويختلط دمها بدمه، وترافقه إلى الجنة..

وهكذا..

فازت بالشهادة...

المحتويات

المقدمة	٤
أبيْنَ إلا أن يشتركنَ في الثورة	٦
المرأة حين تفوق الرجال	١٧
تبذل مالها لترحيل الثوار	٢٥
رفضت الماء وأراقته تضامناً مع الثورة	٣٠
وفازت بالشهادة	٣٥
المحتويات	٣٨